مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

مشكل القرآن عند ابن عرفة في تفسيره(*)

الباحثة/ عايضة بنت عواض الشمراني
حاصلة على درجة الماجستير من جامعة أم القرى
تخصص التفسير وعلوم القرآن

*) تاريخ تسليم البحث 25/11/2022 تاريخ قبوله للنشر 14/12/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مشكل القرآن عند ابن عرفة في تفسيره

الباحثة/ عايضة بنت عواض الشمراني
حاصلة على درجة الماجستير من جامعة أم القرى
تخصص التفسير وعلوم القرآن

الملخص

قد يعرض لقارئ القرآن الالتباسُ في بعض المواضع، مما يحول من تدبره، ومن هنا يهدف هذا البحث لإلقاء الضوء على منهج أحد الأئمة ممن كان له اهتمام بعلم المشكل في القرآن ودفعه، وهو الإمام محمد ابن عرفة الورغمي في تفسيره، وقد اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، الأول: في ترجمة موجزة لابن عرفة والتعريف بتفسيره، والتعريف بمشكل القرآن ومنهج ابن عرفة فيه، والثاني: في دراسة لبعض النماذج التطبيقية لمشكل القرآن من تفسيره، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة، وأبرزها أن أكثر أنواع المشكل اهتماما عنده هو موهم التعارض، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في الترجمة للإمام ابن عرفة والتعريف بكتابه، والتعريف بمشكل القرآن، والمنهج التحليلي التطبيقي في دراسة نماذج من تطبيقاته في دفع الإشكال عن الآيات، ثم المنهج الوصفي الاستنباطي في ذكر منهجه في دفع الإشكال.

الكلمات المفتاحية: مشكل القرآن، ابن عرفة، تفسير.

Problematic Issues in Understanding the Quran Viewed by Ibn Arafa in His Interpretation

Ayidha Bent Awaadh Al Shamrani
MA in Interpretation and Holy Quran Sciences, Umm Al Qura University

Abstract

Sometimes the reader of the Holy Quran may find difficulty to grasp the meaning. This may mislead the reader to clearly understand the Holy Quran. As a result of this, this study sheds light on the approach of the scholar of the problematic issues of the Holy Quran and clarifies them. This scholar is Imam Mohammed Ibn Arafa Alwarghami in his interpretation. This study includes an introduction, a brief biography of Ibn Arafa and the defining his interpretation, and defining of the problematic issues in understanding the Quran and the approach of Ibn Arafa in it. The second chapter is a study of some applied applications of the problematic issues in understanding the Holy Quran, its interpretation, then a conclusion that includes the most important findings drawn, the most prominent of which is that the problem of most interest to him is the supposed contradiction. The study relies on the descriptive and analytical approach in the translation of Imam Ibn Arafa and introducing his book and introducing the problematic issues in understanding the Qur'an, and the applied analytical approach in studying models of its applications in repelling the ambiguities about the verses, then the deductive descriptive approach in mentioning it in resisting the ambiguities caused by misunderstanding of the readers.

Keyword: Problematic Issues in Understanding the Quran, Ibn Arafa, Interpretation.

مقدمة

الحمد لله منزل الكتاب العزيز الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبد الله ذي الأمر الرشيد، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه قد يجري على فهوم الناس ما يُظن تعارضه مع ظاهر آية من الآيات الكريمة، فكان من المهم إجلائه من خلال أسس مستقاة من منهج أهل العلم، وهذا هو علم مشكل القرآن والذي يتناول نوعا خاصا من آيات القرآن الكريم، ويقتضي تعمقا في جملة علوم الفقه واللغة والحديث ونحوها، ويوجب التدبر في الآيات المشكلة والنظر في سياق الآيات، وقد كان ابن عرفة ممن اهتم بهذا العلم وهو ظاهر في تفسيره، فكان هذا البحث الذي يلقي الضوء على تعامله مع الآيات المشكلة ومنهجه في توجيهها، وبالله التوفيق.

أسباب اختيار الموضوع

- اهتمام ابن عرفة بمشكل القرآن في تفسيره، حيث إن تفسيره قائم على التساؤلات والمناقشات.
- الإضافة العلمية بالبحث في مجال التفسير وعلوم القرآن.

أهمية الموضوع

علم مشكل القرآن يعين قارئه على التدبر، بدفع ما قد يطرأ عليه من إشكال، والله أمرنا بالتدبر فقال عزّ من قائل سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

أهداف البحث

- دراسة نماذج من مشكل القرآن ودفعه في تفسير ابن عرفة.
- تلخيص أهم ملامح منهج الإمام ابن عرفة في دفع الإشكال في تفسيره.
- تسليط الضوء على منهج أحد الأئمة المهتمين بعلم مشكل القرآن، وهو الإمام ابن عرفة.

الدراسات السابقة

بعد التتبع والاطلاع تبيّن أن هناك نوعين من الدراسات القريبة من الموضوع بشكل عام:

الأول: متعلق بدراسات عنيت بعلم من علوم القرآن، عند الإمام ابن عرفة، ومنها: توجيه المتشابه اللفظي عند ابن عرفة في تفسيره جمعا ودراسة، للباحثة: عايضة بنت عواض الشمراني، وهي رسالة ماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن، من جامعة أم القرى، للعام الدراسي: ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م، وقد ذكرت في مقدمتها عددا من الدراسات المتعلقة بابن عرفة وتفسيره.

الثاني: متعلق بدراسة مشكل القرآن عند إمام من أئمة التفسير، ومنها: مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور، جمعا ودراسة، للباحث: علي بن عبد الله بن حمد السكاكي، وهي رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١١م.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن عرفة والتعريف بكتابه التفسير، والتعريف بمشكل القرآن، ومنهج ابن عرفة في دفعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة موجزة لابن عرفة، والتعريف بكتابه.

المطلب الثاني: التعريف بمشكل القرآن، ومنهج ابن عرفة في دفعه.

المبحث الثاني: دراسة نماذج من مشكل القرآن في تفسير ابن عرفة.

وفيه دراسة تطبيقية لسبعة نماذج من المشكل عند ابن عرفة في تفسيره وتوجيهها.

خاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في الترجمة للإمام ابن عرفة والتعريف بكتابه، والتعريف بمشكل القرآن، والمنهج التحليلي التطبيقي في دراسة نماذج من تطبيقاته في دفع الإشكال عن الآيات، ثم المنهج الوصفي الاستنباطي في ذكر منهجه في دفع الإشكال.

المبحث الأول

ترجمة موجزة لابن عرفة والتعريف بكتابه التفسير، والتعريف بمشكل القرآن ومنهج ابن عرفة في دفعه

المطلب الأول: ترجمة موجزة لابن عرفة والتعريف بكتابه

أولًا: ترجمة موجزة لابن عرفة

هو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الوَرْغَمِّي[١] النسب، البربري الأصل، التونسي النشأة والتربية التعليم، المالكي المذهب، المفسر، الفقيه، الأصولي[٢].

ولد بمدينة تونس سنة: ٧١٦هـ، أو قبلها بسنة كما ذكر ابن قنفذ[٣]، وكان مولعاً بالعلم منذ نعومة أظفاره، متجهاً إلى علوم اللغة وأصول الدين بالإضافة إلى الأصول والمنطق، مجتهداً في تحصيل العلوم، على أبرز مشايخ عصره، ومن أشهرهم ممن كان لهم الأثر البيّن في تكوينه العلمي، وثرائه وتنوعه المعرفي: والده الشيخ محمد بن محمد بن عرفة (٧٤٨هـ)، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سلامة التونسي الأنصاري (٧٤٦هـ)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر المعافري المعروف بابن الحباب (٧٤٩هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة (٧٤٩هـ)، وغيرهم[٤].

ثم برع من تلامذته خلق كثير، من أشهرهم: شيخ الإسلام أبو القاسم بن أحمد البرزلي التونسي، مفتيها وحفظها وإمامها بالجامع الأعظم (٨٣٣هـ)، ومحمد بن خلفة الأُبِّي التونسي (٨٢٧هـ)، وأحمد بن محمد البسيلي (٨٣٠هـ)، وأبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي، وهؤلاء الثلاثة هم رواة تفسيره، وممن أخذ عن ابن عرفة من المشهورين أيضاً: الإمام المقرئ محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ)، والحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)[٥].

---

(١) نسبةً إلى قبيلة من هوارة ببلاد المغرب، ذيل لب اللباب (ص: ٢٣٥)، البدر الطالع (٢/٢٥٥).

(٢) له ترجمة في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (٢/٣٣١)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي(٤٦٣).

(٣) انظر: الوفيات، (ص: ٣٨٠)، تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٣٦٣).

(٤) ذكرهم: ابن العماد في شذرات الذهب، (٩/٦١). وابن مخلوف في شجرة النور الزكية، (١/٣٢٦)، وغيرهم كثير.

(٥) انظر المرجعين السابقين.

والذي يظهر أنه تأثر بالمذهب الأشعري[١]، خاصة في باب الإيمان والصفات[٢]، حيث إنه المذهب السائد في عصره[٣].

وقد توفي ابن عرفة بتونس المغرب سنة ٨٠٣هـ، عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا، بعد أن تولى عددًا من المناصب، كإمامة جامع الزيتونة سنة٧٥٠هـ، والخطابة سنة٧٥٢هـ، ثم تولى القضاء والإفتاء سنة ٧٥٣هـ[٤]، وخلف ثروة علمية في فنون متعددة، كالفقه، والحديث، وعلم الكلام، والمنطق، إلى غير ذلك من العلوم[٥]، ومن أهمها: التفسير، وسيأتي التعريف به في الأسطر التالية.

ثانيًا: التعريف بكتابه التفسير

لم يكتب هذا التفسير بخط ابن عرفة، وإنما كان من إملائه على طلابه في مجلس العلم، فقد كانت دروسه التفسيرية تتميز بإثارة التساؤلات والمناقشات أثناء الحضور التفسيري، وكانت تسير على ختمات متعددة[٦]، ولذا فتفسيره لم يستوعب الآيات وإن استوعب السورة مرتبة بترتيب المصحف، إنما هي أقواله في آيات متفرقة، وإجابات على أسئلة وجهت له.

وقد وصلنا تفسيره بروايتين لأشهر تلاميذه وهما: أبو عبد الله محمد بن خليفة الأبي، وهو من كبار أصحابه، وممن لازمه في جميع دروسه[٧]، وأبو العباس أحمد بن محمد البسيلي في كتابه التقييد الكبير،

(١) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت:٣٢٤هـ، والأشاعرة: فرقة كلامية اتخذت البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، ويثبتون الصفات السبع: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، مع تأويل غيرها من الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرها، وهم أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، خاصة الأوائل منهم كأبي الحسن الأشعري، وقد رجع عن كثير من آرائه الكلامية وألف كتاب الإبانة عن أصول الديانة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٩٢،٨٣/١).

(٢) فيكفي عنده في حصول الإيمان مجرد التصديق، انظر تفسير ابن عرفة، (٧٠٩/٢)، كما أنه يأول بعض الصفات في تفسيره، كالغضب بالإرداة، انظر: تفسير ابن عرفة، (٩٨/١)، واليد بالقدرة، انظر تفسير ابن عرفة، (٤٨٦/٥)، وهذا يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومن إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه نبيه، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل، انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١٧٣/١)، العقيدة الواسطية، لابن تيمية (ص:٣٩)، فعفا الله عن ابن عرفة فيما أخطأ، وجزاه خيرًا فيما أصاب.

(٣) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي (١٩٥/٤).

(٤) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (٦١٩/٢)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٣٤٢/١). وقد ذكر هذا أغلب من ترجم له.

(٥) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (٢٤٠/٩)، طبقات المفسرين، للداوودي المالكي (٢٣٦/٢).

(٦) انظر: التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، الناشر مجمع البحوث الإسلامية،١٣٩٠هـ، (ص:٩٦)، وانظر تفسير ابن عرفة (٢٦٧/١، ٢٦٨)، (٢٣٨/٢).

(٧) انظر: نزهة الأنظار، (٥٩٦/١)، البدر الطالع، الشوكاني، (١٦٩/٢).

واختصاره التقييد الصغير[١]، ومن رواة التفسير أيضًا: أبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي، إلا أن تقييده للتفسير عن ابن عرفة مفقود[٢].

وطبع هذا التفسير في عدة طبعات، منها الطبعة الصادرة عن دار ابن حزم، برواية الأبي، والتي قام بتحقيقها مجموعة من الباحثين، وهذه الطبعة هي المعتمدة في هذا البحث.

ولهذا التفسير قيمته العلمية، لما امتاز به ابن عرفة من إلمام بعلوم وفنون مختلفة، وتظهر أيضا في ثناء العلماء ووصفه بكثرة الفوائد، عليه كالحافظ ابن حجر[٣]، والفاضل ابن عاشور[٤]، وتلميذه البسيلي[٥]،كما لقي هذا التفسير اهتماماً من الباحثين، في جمع تعقباته واستدراكاته على المفسرين، أو ترجيحاته وآرائه في التفسير أو الفقه أو الأصول، وغير ذلك.

المطلب الثاني: التعريف بمشكل القرآن، ومنهج ابن عرفة في دفعه

أولا: التعريف بمشكل القرآن

الـمُشكِل في اللغة: اسم فاعل من أشْكل، وأشْكل أو شَكَلَ الأمر إذا التبس[٦]، قال ابن فارس: "الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي مثله، ومن ذلك يقال أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا"[٧]، ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة في التباس المتشابه من جه شبهه بغيره فيصعب التفريق بينهما، قال: "قد يقال لكلّ ما غمض ودقّ متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره" ثم قال: "ومثل المتشابه: المشكل، وسمي مشكلا: لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمض –وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة–: مشكل"[٨]، فالمعنى اللغوي للإشكال يدور حول المماثلة، والاختلاط، والالتباس، والاشتباه[٩].

(١) انظر: مقدمة تحقيق تفسير ابن عرفة (٢٥/١).

(٢) مقدمة تحقيق تفسير ابن عرفة (٢٩/١).

(٣) انظر إنباء الغمر بأبناء العمر (١٩٢/٢).

(٤) التفسير ورجاله (ص:٩٧).

(٥) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (١١٥).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٦/١٠).

(٧) مقاييس اللغة (٢٠٤/٣).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٨).

(٩) مشكل القرآن الكريم، بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم أسبابه، وأنواعه، وطرق دفعه، عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ، ص(٤٦).

ومشكل القرآن استعمل عند علماء التفسير وعلوم القرآن مستعمل عندهم بصورة عامة في كل إشكال أو التباس يطرأ على الآية، سواء كان متعلقاً باللفظ من حيث غرابته، أو بالمعنى، أو بتوهم التعارض بين الآيات، أو بالإعراب، أو بالقراءات(١)، ولهذا فرّقه الزركشي في عدد من الأنواع في البرهان: أولها: النوع الخامس والثلاثون، وسماه معرفة موهم المختلف، وقال: وهو ما يوهم التعارض بين آياته، وبعده النوع السادس والثلاثون: سماه معرفة المحكم من المتشابه، وقال فيه: "والمتشابه مثل المشكل لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله"(٢)، وبعده النوع السابع والثلاثون: في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات(٣)، وأما السيوطي في الاتقان فذكره في النوع الثامن والأربعين، ثال في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض، وذكر أمثلته، وذلك أنه لم يستقر بعد تعريفه الاصطلاحي.

ولهذا عرّف د. عبد الله المنصور مشكل القرآن الكريم بعد استقراء استعمالاتهم وتعريفاتهم: "الآيات القرآنية التي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين، فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل"(٤).

ومن هنا يعرف أن وجود المشكل في القرآن الكريم، متعلق بفهم القارئ لا بأصل الآية، فهو أمر نسبي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧](٥)، وفي هذا إظهار لإعجاز القرآن وإحكامه، ودعوة للتدبر فيه.

وللمشكل أنواع ذكرها د. عبد الله المنصور، تتلخص في أربعة أنواع:

١- المشكل الموهم للتعارض.

٢- المشكل في اللغة، ويندرج فيه مشكل الإعراب، وما يتعلق بغريب اللغة، وما يتعلق بالمجاز، والكناية، والتقديم والتأخير، وخفاء وجه الحكمة في استخدام بعض الأساليب اللغوية.

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص:٥٤ إلى ص:٦٨).

(٢) البرهان، (٢/٦٩).

(٣) انظر البرهان، (٢/٤٥-٧٨).

(٤) مشكل القرآن (ص:٧٧).

(٥) وإن كان في الآية خلاف في معنى الإحكام والتشابه الخاص هنا، انظر: المحكم والمتشابه، البيان، العدد٣٩٤، الناشر: المنتدى الإسلامي، ٢٠٢٠م، والمحكم والمتشابه، أفنان زين متعب المطيري، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد٢، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٢٠م. وانظر: مشكل القرآن، عبد الله المنصوري، (ص:٨٢).

٣- المشكل للاشتباه في المعنى أو في اللفظ[١].

٤- المشكل في القراءات ورسم المصحف[٢].

ثانيًا: منهج ابن عرفة في دفع الإشكال

بعد دراسة عدد من النماذج التطبيقية للمشكل عند ابن عرفة، يمكن وصف لمحة من معالم منهجه في إيراد المشكل وعرضه، وفي طريقة دفع الإشكال.

فأما منهجه في إيراد المشكل وعرضه:

- أورد ابن عرفة في تفسيره أنواع المشكل الأربعة: الموهم للتعارض وهو أكثر ما أورده، كما أنه تعرض للمشكل في القراءات، والمشكل في اللغة.

- قد يورد ابن عرفة الإشكال ويجيب عنه، كما في المثال الثالث من أمثلة الدراسة كما سيأتي، حيث قال: "فإن قلت: ما الجمع بين هذا ... قلت: ..."[٣]. وفي المثال الخامس قال: "في الآية استشهاد واستشكال ..."، أو قد يكون الإشكال وارداً من سؤال أحد الطلبة كما في المثالث السادس: "قيل لابن عرفة: الآية على قراءة مجاهد مشكلة، ..."، أو قد ينقل ابن عرفة استشكالات العلماء، فمن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥]، قال ابن عرفة: "واستشكل القرطبي[٤] تكليفهم بعد إحيائهم من الصعق لسقوط التكليف بالصعق، وإذا سقط لا يرجع"[٥]، أو يذكره بعد تفسير الآية وبيان معناها الذي به ينتفي الإشكال، كما في المثال الأول من أمثلة الدراسة.

- وقد ينقل استشكال غيره للآية وينفي الإشكال عنها، وذلك عند الآية السابقة -آية سورة البقرة- فإنه بعد أن نقل استشكال القرطبي نفى الإشكال، قال: "وعندي لا إشكال فيه، وهو كمن أحرم بالحج

---

(١) التشابه في اللغة له أصلان: التماثل والالتباس، كما ف: الصحاح للجوهري (٢٢٣٦/٦)، ولسان العرب (٤١١/٣٦)، والمتشابه في القرآن لفظي ومعنوي، والمراد هنا في باب المشكل هو المتشابه المعنوي وهو الذي فيه التباس على بعض الناس، يقول د. عبد الله المنصور: "ومع هذا لا يصح أن يُقال إن المتشابه اللفظي نوع من أنواع المشكل في القرآن؛ لأن الذي حصل لهؤلاء أنهم انتقلوا في حقيقة الأمر من المتشابه اللفظي إلى المتشابه المعنوي، وذلك حرصاً منهم على توجيه وتعليل أفراد المتشابه اللفظي" انظر مشكل القرآن (ص: ٢٥٣).

(٢) انظر: مشكل القرآن، (ص: ٢٢٧).

(٣) تفسير ابن عرفة، (٣٥٦/٥).

(٤) في الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، (٤٠٥/١).

(٥) انظر: تفسير ابن عرفة، (١١٥/١، ٣٤١).

وعنده طائر في قفص، فإنه مكلف بإرساله، فإذا أزال إحرامه عادت الإباحة[1]، كما كانت أول مرة. وكذلك النائم حالة نومه غير مكلف، فإذا استيقظ عاد التكليف[2]"[3].

- يصرح أحيانا بلفظ الإشكال كما في المثال الخامس، أو يورده كسؤال بغير تصريح بلفظ الإشكال، وهذا غالبا ما يكون في موهم التعارض كما في المثال الثالث، أو غيره كما في المثال السابع، أو يذكر الآيتين المتعارضتين ظاهرا، ثم يجمع بينهما بما يفهم منه الجواب عن الإشكال، كما في المثال الثاني.

وأما منهجه في الجواب عن المشكل:

فيمكن استنتاجه من نصوصه كما في النقاط التالية:

- الاعتماد على اللغة في بيان المعنى والجمع بين الآيتين المتعارضتين ظاهرا، كما في المثال الأول، فبيّن معنى الإرداف في اللغة، ثم اعتمد عليه في الجمع بينه وبين الآية الأخرى.
- ذكر الاحتمالات الممكنة في دفع الإشكال، كما في المثال الثاني، والمثال السابع.
- الاستدلال بسياق الآية في الجواب عن الإشكال كما في المثال السادس، حيث ذُكر له الإشكال في قراءة «إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا» بفتح التاء، «منَ الّذين اتُّبِعُوا» بضم التاء، فيشكل قوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧]، لأنهم قد تبرؤوا منهم؟، وسيأتي إجابته بأن تبرّي التابعين من المتبوعين يعم تبرّي المتبوعين منهم، واستدلاله بقوله في الآية: ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧].
- توضيح الجواب عن الإشكال بذكر الآيات المشابهة في موضع الإشكال، كما في المثال السابع، حيث استدل بآية النحل على صحة استعمال الفعل الماضي في معنى المستقبل لتحقيق الوقوع، قال: "أن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، و[إذ] ظرف لما مضى، فكيف صح اجتماعهما في كلام واحد؛ لأنه إن كان ماضيا فلا معنى لـ إذا، وإن كان مستقبلا فلا معنى لـ إذ، والجواب: أنه مستقبل وأدخلت إذ لوجهين: إما لتحقيق وقوعه مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، وإما باعتبار ما يأتي بعده من الأمور المستقبلة عنه، فهو ماض بالنسبة إليها".
- اهتمام ابن عرفة بدفع الإشكال عن الآية ولو كانت القراءة شاذة، كما في المثال السادس.

---

(١) فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، (٩٩/٣).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، (١٥١/١).

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة، (١١٥/١، ٣٤١).

المبحث الثاني: دراسة نماذج من مشكل القرآن في تفسير ابن عرفة

المثال الأول: قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: قال ابن عرفة: "قوله تعالى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أي: يُرْدِف بعضهم بعضًا، وبهذا يجاب عن المعارضة بينها وبين قوله تعالى في آل عمران:﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٥،١٢٦]"(١).

وجه الإشكال: أن الله تعالى ذكر الإمداد في سورة الأنفال بألف من الملائكة، وأما في سورة آل عمران بخمسة آلاف من الملائكة، فيكون الظاهر منهما التعارض في العدد.

دفع الإشكال: أجاب ابن عرفة هنا عن التعارض الظاهر في عدد الملائكة، بأن وصفهم في الأنفال بقوله: (مردِفين) أي يردف بعضهم بعضا، فيكون الإمداد بألف بعد ألف، حتى يكونوا خمسة آلاف كما في سورة آل عمران، وفي اللغة: أردف الشيء بالشيء، وأردفه عليه: أتبعه عليه(٢)، وهذا التوجيه الذي ذكره هو ما اختاره ابن جرير، يقول ابن جرير: "والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بكسر الدال؛ لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين"(٣).

وهذا المعنى الذي دفع به التعارض على قراءة من قرأ (مردفين) بكسر الدال، وأما على قراءة الفتح(٤) فلا يتأتى هذا المعنى، ولذلك استشكل الزمخشري هذا الجمع حيث قال: "فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد – ألف– ولم يفسر المردفين بأرداف الملائكة ملائكة آخرين، والمردفين بارتدافهم غيرهم؟"(٥)، فيكون المعنى أن الله أردف المسلمين بالملائكة كما ذكر الراغب(٦).

---

(١) تفسير ابن عرفة، (٢١٧/٣).

(٢) تاج العروس (٢٣/ ٣٣٦).

(٣) جامع البيان، (٥٧/١١).

(٤) قال أبو عمرو الداني: "قرأ نافع {مردَفين} بفتح الدال، وكذا حكى لي محمد بن أحمد عن ابن مجاهد انه قرأ على قنبل، قال وهو وهم، والباقون بكسرها"، التيسير في القراءات السبع (ص: ١١٦). وقال ابن الجزري: "(واختلفوا) في: مردفين فقرأ المدنيان ويعقوب بفتح الدال وما روي عن ابن مجاهد عن قنبل في ذلك فليس بصحيح عن ابن مجاهد لأنه نص في كتابه على أنه قرأ به على قنبل قال: وهو وهم، وكان يقرأ له ويقرئ بكسر الدال" النشر في القراءات العشر، (٢/ ٢٧٥).

(٥) الكشاف، (٢٠٢/٢).

(٦) انظر تاج العروس (٣٣٦/٢٣).

ولهذا لما بيّن ابن جرير أن القراءة بفتح الدال معناها أن الله أردف المسلمين بهم، ذكر أنه قول لا معنى له، وأنه خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن، ونقل الإجماع على المعنى الأول، قال: "والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] بكسر الدال؛ لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين. ففي إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال، بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضا، ومسموع من العرب: جئت مردفا لفلان: أي: جئت بعده ...ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن"[(١)].

وهذا الجواب عن الإشكال على القول بأن الإمداد المذكور في الآيتين في وقعة واحدة وهو الذي رجحه ابن كثير بناء على أن المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر[(٢)]، وأما على القول بأن أحدهما في وقعة بدر والآخر في وقعة أحد فلا تعارض[(٣)]، والله أعلم.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٧٤].

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: "قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:١٧٤] قال تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦] وأجاب ابن عرفة: بأن الضريع طعامهم ولا يأكلون منه، وإنما تكون المعارضة أن لو قيل: ليس لهم أكل (إلا) الضريع، أو يكون باختلاف الحالات في الأوقات، (أو يكون) الضريع نارًا، فأكلهم للضريع أكلٌ للنار، والأكل المضغ، فهو في الفم لا في البطن، لكن رُوعِي السبب"[(٤)].

وجه الإشكال: تثبت آية الغاشية طعاما لأهل النار وهو الضريع، بينما تنفي آية البقرة أن أهل النار يأكلون شيئا سوى النار، مما يجعل بينهما تعارضا ظاهرا، من أنهم يأكلون الضريع، والضريع: نبات يقال له الشبرق إذا كان رطباً، فإذا يبس سمي ضريعا[(٥)]، وقال أبو جعفر النحّاس: "الضريع الذي يضرع ويذلّ من أكله لمرارته وخشونته"[(٦)].

---

(١) جامع البيان (٥٧/١١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ (١١٢/٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٤٩/٨، ٣٥٠).

(٤) تفسير ابن عرفة، (٤٧٥/١).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن، (ص:٤٧). وجامع البيان، (٣٣١/٢٤).

(٦) إعراب القرآن للنحاس، (١٣١/٥).

دفع الإشكال: دفع ابن عرفة الإشكال بتوهم التعارض بين الآيتين، بثلاثة أجوبة:

الأول: أن الضريع طعامهم ولا يلزم أن يأكلوا منه، وهذا الجواب بمعنى ما ذكره الزمخشري قال: "أو أريد: أن لا طعام لهم أصلا، لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الإنس، لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل. كما تقول ليس لفلان ظل إلا الشمس، تريد: نفى الظل على التوكيد"(١).

والثاني: باختلاف الحالات في الأوقات، بأنهم يأكلون النار في أوقات والضريع في أوقات، أو باختلاف أحوال أهل النار، وهذا الجواب هو الذي أجاب به ابن قتيبة حين ذكر الإشكال بين قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٥،٣٦]، فقال: "فإن النار دركات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات، فمن أهل النار من طعامه الزّقّوم، ومنهم من طعامه غسلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصّديد"(٢)، وقد وجّه أبو زكريا الأنصاري أيضاً باختلاف الحالات قال: "لا منافاة إذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع، والمعذبين طبقات، فمنهم أكلة غسلين، ومنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، لكل باب منهم جزء مقسوم"، وتبعه القنوجي(٣).

وجمع إسماعيل حقي الحنفي بينها فقال: "ويمكن عندي أن يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الأعمال المختلفة؛ فإن لكل عمل أثرًا مخصوصًا، وجزاء متعينا؛ فيصح الحصر"(٤).

والثالث: بأن يكون الضريع نارا، وهو موافق لما فسر به ابن عباس قال: "الضريع شجر من نار"(٥).

وهذه الأجوبة الثلاثة التي ذكرها ابن عرفة، إنما تكون إذا قصد بالأكل في الآية الحقيقة لا المجاز، وهو الذي أيده الكرماني، حيث ذكرت البطون في الآية لنفي المجاز، فمن عادات العرب أن تذكر الأكل والقصد الإتلاف، وقد يستعمل الأكل لغير المطعوم، قال: "الجمهور: على أن البطون ذكرت نفياً للمجاز، لأن الأكل قد يذكر، ويراد به التصرف"(٦)، وزاد الرازي: "قال بعضهم: ذكر البطن هاهنا زيادة بيان... وقال آخرون: بل فيه فائدة فقوله: في بطونهم أي ملء بطونهم كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا

(١) الكشاف، (٤/٧٣٤).

(٢) تفسير ابن عرفة، (١/٤٧٥).

(٣) فتح الرحمن، (١/٥٨٠)، وانظر فتح البيان، (١٤/٣٠٠).

(٤) روح البيان، (١٠/٤١٣).

(٥) إعراب القرآن للنحاس، (٥/١٣١).

(٦) غرائب التفسير، (١/١٩٢،٢٨٥).

﴿لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفم...والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة"(١).

وأما على القول بأن الأكل المذكور ليس على حقيقته، فلا إشكال، وقد ذكر هذا المعنى ابن جرير، قال: "بأكلهم ما أكلوا من الرشا على ذلك والجعالة وما أخذوا عليه من الأجر {إلا النار} يعني إلا ما يوردهم النار ويصليهموها"، ثم ذكر نظير الآية فقال: "كما قال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، معناه: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم. فاستغنى بذكر النار، وفهم السامعين معنى الكلام، عن ذكر ما يوردهم أو يدخلهم"(٢).

وممن أيّد كون الأكل ليس على حقيقته: ابن الزبير، حيث ذكر أن لفظ الأكل ذكر من باب المناسبة والمشاكلة للسياق قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة:١٧٢]، فقال عند قوله: (في بطونهم): "لأن الأكل كأنه ضُمِّن معنى الجَعْل، إذ النار في المعهود المعلوم لا تؤكل، فكأن قد قيل: إنما يجعلون بذلك المأكل الخبيث في بطونهم ناراً كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠]، فالأكل المقصود ملفوظ به ودل عليه السياق، وقوله: ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ على الجعل، وكأنه من باب التضمين فدل اللفظ على ما وضع له من المعنى وعلى ما يعطيه من حيث ما يتم به المعنى ويعضده السياق"(٣).

وقد ذكر ابن عاشور مثل هذا المعنى من جواز أن يكون الأكل مجازا، فجوز أن يكون الأكل على حقيقته، أو يكون مستعاراً للألم أو التلف، قال: "أن يكون (نارا) من قوله: إنما يأكلون في بطونهم نارا مرادا بها نار جهنم، كما هو الغالب في القرآن"، وقال: "بمعنى أسباب الألم فيكون تهديدا بعذاب دنيوي أو مستعاراً للتلف؛ لأن شأن النار أن تلتهم ما تصيبه"(٤).

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٣،١٤]

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: قال ابن عرفة: "وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٣،١٤]، قيل: الثلة مطلق الجماعة، وقيل: بشرط الكثرة، فإن قلت: ما

(١) مفاتيح الغيب، (٥/٢٠٥)، (٩/٥٠٦،٥٠٧).

(٢) جامع البيان، (٣/٦٦).

(٣) ملاك التأويل (١/٦٠-٦١).

(٤) التحرير والتنوير، (٤/٢٥٤،٢٥٥).

الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤]؟ قلت: هم قليلون في أنهم بالنسبة إلى العصاة، وأمّا آحادهم في أنفسهم فأوّلهم كثيرون بالنسبة إلى آخرهم"(١).

وجه الإشكال: أن الثلة في اللغة تطلق على الجماعة الكثيرة(٢)، ووصف المؤمنين بذلك قد يظهر منه التعارض لما جاء في سورة ص بأن المؤمنين قليل.

دفع الإشكال: أجاب ابن عرفة باختلاف الموضعين في الإطلاق والتقييد، فإن وصفهم بالقلة مطلق وذلك بالنسبة إلى العصاة، وأما وصف بالكثرة فهو مقيد بالأولين منهم بالنسبة إلى الآخرين.

وهذا على القول بأن المقصود بالثلة الأولى: الأمم الماضية، والثلة الآخرة: أمة محمد، وهو الذي رجحه الشنقيطي بناء على سياق الآيات، قال: "هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين، وكون ثلة من الآخرين في خصوص أصحاب اليمين؛ لأنه واضح من سياق الآيات، أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة، لأن قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١] إلى قوله: ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة:٦]، لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة، وأن الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء . ..، فلا مانع من أن يجتمع من سابقيها من لدن آدم إلى محمد ﷺ أكثر من سابقي هذه الأمة وحدها، وأن ما دل عليه ظاهر القرآن -واختاره ابن جرير(٣)- لا ينافي ما جاء من أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة(٤). فأما كون قوله: (وقليل من الآخرين) دل ظاهر القرآن على أنه في خصوص السابقين، فلأن الله قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١، ١٢]، ثم قال تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، وأما كون قوله: (وثلة من الآخرين) في خصوص أصحاب اليمين، فلأن الله تعالى قال: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾"(٥).

---

(١) تفسير ابن عرفة، (٣٥٦/٥).

(٢) انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٣) انظر جامع البيان، (٢٩١/٢٢)

(٤) وهو ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم: (٦٥٢٨)، وكتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي، (٦٦٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم: (٢٢١)، من حديث ابن مسعود η، وفيه: قال γ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(٥) أضواء البيان (٥١٥،٥١٦/٧).

وأما على القول بأن المقصود بالثلثين هذه الأمة أولها وآخرها، وهو الذي اختاره ابن عثيمين[1]، فلا يقع الإشكال أصلاً، لأن ظاهر آية ص، الإطلاق، فالمؤمنين قليل بالنسبة إلى العصاة كما في آية ص[2]، ويؤيد هذا قوله، في نفس الحديث السابق: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»، وفي الحديث الطويل: «يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»[3]"، والله أعلم.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦].

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: قال السّلاوي عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾: "انظره مع قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[4]، قال ابن عرفة: والجمع بينهما أنّ عذابها يكون شديدًا، فإذا خَبَتْ لا يزال ألَمُها شديدًا حالًّا بهم، لكنه يكون أولًا يزيد، فإذا خَبَتْ يقف حاله ولا يزيد، ثم تشتعل بعد ذلك فيزداد عليهم الألم، فهي في نفسها تسكن لا أن الألم النازل بهم يُخَفَّف عنهم"[5].

وجه الإشكال: قد يظهر من آية الإسراء أن في خبوّ النار تخفيفا للعذاب، فيكون معارضا لما دلت عليه آية فاطر أن الكفار في نار جهنم لا يخفف عنهم العذاب.

دفع الإشكال: أما قوله: (خَبَت) فهو من الخُبُوّ، أو الخَبْو، وهو في اللغة السكون، يقال: "خبت النار والحرب والحدة تخبو خبوا وخبوا: سكنت وطفئت وخمد لهبها، وهي خابية، وأخبيتها أنا: أخمدتها"[6]، فليس في سكونها راحة لهم؛ لأن النار يسكن لهبها ويتضرم جمرها، ومن هذا المعنى أجاب ابن عرفة عن الإشكال، وذكر أن خبو النار لا يلزم منه تخفيف العذاب، فالنار في نفسها تسكن، لكن لا يزول الألم، فإذا اشتعلت زاد الألم، وقد أجاب بهذا ابن عطية، قال: "لا يخفف عنهم نوع عذابهم والنوع في نفسه

(١) انظر تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد (ص: ٣٣١)

(٢) وانظر تفسير الآية في جامع البيان، (٦٣/٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، برقم: (٢٩٤٠)، (٢٢٥٨/٤).

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧]

(٥) تفسير ابن عرفة، (٧٨٢/٤، ٧٨٣).

(٦) لسان العرب، (٢٢٣/١٤).

يدخله أن يخبو أو يسعر ونحو ذلك"(١)، والرازي أيضاً، قال: "كلما خبت يقتضي سكون لهب النار، أما لا يدل هذا على أنه يخف العذاب في ذلك الوقت"(٢).

وقيل إن الخبوّ من الأضداد، فيطلق على السكون كما يطلق على الاشتعال، يقال: "خبت النار إذا سكنت، وخبت إذا حميت"(٣)، وعلى هذا المعنى لا يظهر الإشكال السابق، لكن ضعّف الألوسي هذا الجواب فقال: "ومن الغريب ما أخرجه ابن الأنباري عن أبي صالح من تفسير خَبَتْ في الآية بحميت وهو خلاف المشهور والمأثور"(٤).

وفي دفع الإشكال جواب ثالث، وهو أن ما نقله ابن جرير عن ابن عباس أن معنى الخبو هنا الإحراق، قال: "كلما أحرقتهم تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهج، فذلك خبوها، فإذا بُدلوا خلقاً جديداً عاودتهم"(٥)، وقد ذكر هذا المعنى أيضا الزمخشري: "كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها"(٦)، وهو يوافق قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٦].

وفي دفع الإشكال جواب رابع، وهوا أن معنى قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾، أي كلما تمنوّا أن تخبو(٧)، أو كلما أرادت أن تخبو(٨).

وفي دفعه وجه خامس، أن الخبو مقترن بالتسعير، فلا يكون فيه تخفيف، وقد ذكره الرازي بعد الإجابة السابقة ففي الوجه الأول، قال: "أن يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في أوقاته غير مشعور به"(٩)، وأجاب به الشوكاني أيضاً، قال: "بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبو والتسعير"(١٠)، ومن هنا يكون التهكم بهم، كما ذكر ابن عاشور، قال: "أن معنى الآية جار على طريق التهكم وبادئ الإطماع المسفر عن خيبة، لأنه جعل ازدياد السعير مقترناً بكل زمان من أزمنة الخبو"(١١).

---

(١) المحرر الوجيز، (٤٤١/٤).

(٢) مفاتيح الغيب، (٤١٢/٢١)، وانظر فتح القدير، (٣١٠/٣).

(٣) الأضداد لابن الأنباري (ص:١٧٥).

(٤) تفسير الألوسي= روح المعاني (١٦٧/٨).

(٥) جامع البيان، (٩٥/١٥).

(٦) الكشاف، (٦٩٥/٢).

(٧) انظر: لسان العرب، (٢٢٣/١٤)، التحرير والتنوير، (٢١٧/١٥).

(٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب، (٣٩٣/١٢).

(٩) مفاتيح الغيب، (٤١٢/٢١).

(١٠) فتح القدير، (٣١٠/٣).

(١١) التحرير والتنوير، (٢١٨/١٥).

والذي يجب أن يُعلم أن نار الدنيا غير نار الآخرة، وأن نار الآخر ليس فيها راحة، ولا تخفيف للعذاب، فقد دل القرآن على أن أهل النار لا يموتون فيها فيستريحوا بالموت(١)، قال تعالى: {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ} [الزخرف: ٧٥]، والله أعلم.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: "قال ابن عرفة: في الآية استشهاد واستشكال، أما الاستشهاد فيدل على أن الفسق لا يسلب صدق الإيمان على صاحبه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ مع إطلاق الإيمان عليها، وأما الاستشكال فهو في الجمع بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «سِبَابُ الْمُسلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٢)، والآية دلت على عدم تكفيره بالقتل، الجواب: أن الحديث مُؤَوَّلٌ بالمستَحِلّ، ويؤخذ من الآية أن الفسق لا يسلب وصف الإيمان، لقوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ مع إطلاق الإيمان عليها"(٣).

وجه الإشكال: أن الآية الكريمة لم تسلب المؤمنين المتقاتلين مسمى الإيمان في حين أن الحديث الشريف يبيّن أن قتال المسلم كفر.

دفع الإشكال: أجاب ابن عرفة عن التعارض الظاهر بين مدلول الآية والحديث الصحيح، بتأول معنى المقاتل في الحديث، بأن المقصود فيه المقاتل المستَحِلّ للقتال، فهو الذي يكفر بقتاله، أما المتأول أو المخطئ فلا يكون كافراً بقتاله كما دلت الآية، وقد أجاب بهذا أيضاً القصّاب(٤).

وفي دفع الإشكال جواب آخر، بتأويل المراد بالكفر في الحديث، بأنه ليس الكفر المخرج من الملة بل الكفر المراد به المعصية، وهذا كما في الطرف الأول من الحديث أيضاً، فإن الفسوق يطلق على العصيان، وهو الترك لأمر الله، كما فَسَق إبليس عن أمر ربه، وقيل: الفسوق: الخروج عن الدين، فيطلق بما يرادف

(١) انظر أضواء البيان، (١٤٧/٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، برقم: (٦٤)، (٨١/١).

(٣) تفسير ابن عرفة، (٢١٢/٥).

(٤) انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٤/ ١٧٦).

الكفر[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]، والكفر أيضا "قد يراد به الكفر: نقيض الإيمان، ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا، أي: عصوا وامتنعوا، والكفر: نقيض الشكر، كفر النعمة، أي: لم يشكرها، والكفر أربعة أنحاء: كفر الجحود مع معرفة القلب، كقوله عز وجل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، وكفر المعاندة: وهو أن يعرف بقلبه، ويأبى بلسانه، وكفر النفاق: وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر، وكفر الإنكار: وهو كفر القلب واللسان. وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته"[2]، إذاً فقتاله هنا: كفر دون كفر كما قال ابن عباس في تفسير آية المائدة: "قيل لابن عباس ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] قال هم كفرة وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر...عن عطاء قال كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم"[3].

ويرِدُ على هذا الجواب، أن مقابلة الكفر بالفسوق في الحديث يدل على تغايرهما، فيكون المقصود بالكفر المخرج عن الملة، وأجاب صاحب فيض الباري بأنه أطلق الكفر على الفسوق للتغليظ، قال: "أطلقَ الكفر على الفسوق تغليظًا، ولو قال: وقتاله فسوق، لساوى حال السِّباب، مع أن القتال أشدُ من السِّباب، فلإظهار هذه الشِّدة أطلقَ عليه الكفر. وهذا الذي يُعنونَ بقولهم: إنه محمولٌ على التغليظ. والأصل: أن الحديث اتَّبع القرآن في ذلك، فإن الله تعالى أخبرَ عن جزاءِ القتل بالخلود – بأي معنى كان – والخلود جَزَاء الكفر، فاتبَّعه الحديث وقال: قتال المسلم كفر. وإن لم يحكم به الفقهاء في الدنيا، إلا أن الحديثَ يختارُ من التعبيرات ما هو أدعى للعمل فيشددُ فيه لا محالة"[4].

وفيه جواب ثالث، ذكره صاحب البحر الثجاج قال: "(وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) أي من أعمال أهل الكفر، فإنهم الذين يَقصدون قتال المسلم، وأما تأويله بحمله على القتال مستحلًّا فيؤدّي إلى عدم صحّة المقابلة؛ لكون السباب مستحلًّا كفرًا أيضًا"[5]. ولذا قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية

(١) العين (٥/ ٨٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٢٤٢)، وانظر: الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢)العين (٣٥٦/٥).

(٣) انظر: تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ، (ص:١٠١).

(٤) فيض الباري على صحيح البخاري (٢٢٢/١)، وانظر: المفاتيح في شرح المصابيح (١٧١/٥).

(٥) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦-١٤٣٦هـ)، (٤٣٥/٢).

المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين. وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين، واحتج بقوله عليه السلام: (قتال المؤمن كفر). ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد أمر بالكفر، تعالى الله عن ذلك! وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة"[1].

المثال السادس: قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: "قيل لابن عرفة: الآية على قراءة مجاهد[2] مشكلة، فإنه قرأ «إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا» بفتح التاء، «منَ الّذين اتُّبِعُوا» بضم التاء، فيشكل قوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧]، لأنهم قد تبرؤوا منهم؟ فقال ابن عرفة: تبرّي التابعين من المتبوعين يعم تبرّي المتبوعين منهم، فلذلك قال هنا: ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [البقرة:١٦٧]"[3].

وجه الإشكال: أنه ثبت على قراءة مجاهد تبرؤ الذين اتَّبَعوا من الذين اتُّبِعُوا؛ فكيف جاءت الآية التي تليها تُبيّنُ تمني التابعين التبرُّؤ من المتبوعين.

دفع الإشكال: أجاب ابن عرفة عن الإشكال بأن التبرؤ الأول يعم تبرؤ التابعين من المتبوعين والعكس، واستدل بقولهم: ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾، والتي تُثبت تبرؤ المتبوعين من التابعين، وعليه فلا يشكل تمني التابعين التبرؤ من المتبوعين.

ولم أقف على من ذكر هذا الإشكال ودفعه غير الإمام ابن عرفة، ولعل ذلك لشذوذ القراءة، وأما ابن عرفة فلم يكتف بشذوذ القراءة لدفع إشكالها، وإنما اجتهد في توجيه المعنى على القراءة وإن كانت شاذة، والله أعلم.

المثال السابع: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩]

نص الإشكال وجوابه من تفسير ابن عرفة: "أن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، و[إذ] ظرف لما مضى، فكيف صح اجتماعهما في كلام واحد؛ لأنه إن كان ماضيا فلا معنى لـ إذا، وإن كان مستقبلا فلا معنى لـ إذ، والجواب: أنه مستقبل وأدخلت إذ لوجهين: إما لتحقيق وقوعه مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا

(١) تفسير القرطبي، (٣١٧/١٦).

(٢) قرأ مجاهد: بتقديم الفاعل على المفعول. وقرأ الباقون: بالضدّ، وهي قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان (ص:٨٠)، والقراءة المشهورة والتي لا خلاف عليها: (الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) بأن الأول مبني للمفعول والثاني مبني للفاعل، فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص:١٩٧).

(٣) تفسير ابن عرفة، (٤٦٢/١).

﴿تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١]، وإما باعتبار ما يأتي بعده من الأمور المستقبلة عنه، فهو ماض بالنسبة إليها"(١).

وجه الإشكال: الجمع بين (إذا) و(إذ) في نفس الموضع، مع دلالة الأول على المستقبل والثاني على الماضي، كما بينه أهل اللغة(٢).

دفع الإشكال: لم أقف على من ذكر هذا الإشكال غير ابن عرفة، وقد أجاب عليه بجوابين: الأول: بمخالفة اللفظ ظاهر معناه لفائدة، فتكون إذ بمعنى المستقبل واستخدمت هنا لتحقيق الوقوع، كما أجاب به من ذكر الإشكال في آية النحل، التي عبّر فيها بالفعل الماضي (أتى) على أمر مستقبلي، وهو القيامة، فممن أجاب بهذا: ابن قتيبة وذكر أنه كثير في القرآن. قال: "وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، يريد يوم القيامة، أي سيأتي قريبا فلا تستعجلوه(٣)، وهو صحيح في اللغة، فقد قال الأزهري بعد أن بين أصل وضع كل واحدة منها: "غير أن (إذ) توقع موقع (إذا)، و(إذا) موقع (إذ)، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]"(٤)، وفي تاج العروس: "وتجيء إذا للماضي وإن كان أصل وضعها لما يستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة:١١]، ... وأما (إذ) فإنه لما مضى من الزمان...وقد تجيء إذ للمستقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ﴾ [سبأ:٥١]، معناه ولو ترى إذ يفزعون يوم القيامة، قال الفراء: وإنما جاز ذلك لأنه كالواجب إذ كان لا يشك في مجيئه، والوجه فيه إذا"(٥).

والجواب الثاني، بأن إذ على وجهها للماضي، باعتبار ما يأتي بعد النقر في الناقور يوم القيامة، فيكون هو ماضٍ لما بعده، فمعنى النقر في الناقور: النفخ في الصور، قال ابن جرير: "يعني جل ثناؤه بقوله: فإذا نفخ في الصور فذلك يومئذ يوم شديد(٦)، وهو أول أحداث يوم القيامة(١).

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، طبعة دار الكتب العلمية، (٣١٧/٤)، وما بين القوسين طمس في الأصل والمثبت مفهوم من السياق.

(٢) انظر تهذيب اللغة (٣٨/١٥).

(٣)تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠)

(٤) تهذيب اللغة (٣٨/١٥).

(٥) تاج العروس (٣٧٠/٤٠-٣٧١).

(٦) جامع البيان (٢٣/ ٤١٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي ميّز القرآن عن سائر الكلام بالدقة حتى بلغ حد الإعجاز والذي تنكشف أسراره يومًا فيوم؛ فهو كلام الله يتصف بصفة منزله من العلم والحكمة، والله أسأل التوفيق والسداد.

وفيما يلي أهم النتائج:

- دور التلاميذ في حفظ علم مشايخهم، فإن ابن عرفة لم يكتب تفسيره، وإنما حفظه تلامذته من خلال كتابة مجالسه العلمية.
- أكثر أنواع المشكل في تفسير ابن عرفة هو ما يتعلق بموهم التعارض.
- استشهاد ابن عرفة بصحة الجواب عن الإشكال بسياق الآية، أو الاستدلال بآيات أخرى مشابهة.
- عدم اكتفاء ابن عرفة بشذوذ القراءة لدفع الإشكال فيها، بل يجتهد في دفعه ولو كانت شاذة.

ومن أهم التوصيات:

- دراسة استقرائية لمشكل القرآن عند ابن عرفة في تفسيره.
- دراسة مشكل القرآن عند ابن عرفة في تفسيره دراسة مقارنة مع تفسير ابن عاشور.
- دراسة الأسلوب الحجاجي في الرد على المخالف عند ابن عرفة في تفسيره، دراسة نظرية تطبيقية.
- دراسة المسائل البلاغية في تفسير ابن عرفة، كونه غني بهذا الجانب.

المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

الأضداد، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي المتوفى: ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان: ١٤١٥هـ.

إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، (٨٠٨/٢).

إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦-١٤٣٦هـ).

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صورته دار الكعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: ٢٧٦هـ، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان الطبعة: الثانية، ١٩٩٤م.

تفسير ابن عرفة برواية الأبي، تحقيق، حسن المناعي، جلال الدين علوش، محمد حوالة، هشام الزار، الطبعة الأولى١٤٣٦هـ.

تفسير ابن عرفة، النسخة الكاملة، تحقيق: جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، (ص:١٠١).

تفسير الحجرات – الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت: ٧٧٤هـ، المحقق: سامي بن محمد سلامه، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

التفسير ورجاله، محمد الفَاضِل بن عاشور، عضو مجمع البحوث الإسلامية ومفتي الجمهورية التونسية الأسبق . رحمه الله .

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق، اوتوتريزل، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري، ت: ٧٩٩هـ، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين (المتوفى: ١٠٨٦هـ)، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى ا الحنفي أبو الفداء ت:١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

السنة، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد ابن حنبل الشيبانيّ البغدادي، ت: ٢٩٠هـ، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: ٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق– بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

شواذ القراءات للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان.

صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ٤٢٢هـ.

صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: ت: ٢٦١هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث، بيروت.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: ٩٠٢هـ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ت: ٩٤٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
العقيدة الواسطية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: محمد بن عبد العزيز بن مانع. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية الطبعة: بدون طبعة أو عام نشر.
العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني المتوفى: نحو ٥٠٥هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن — بيروت.
فتح البيان في مقاصد القران، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا — بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ.
فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) المحقق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت: ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
فيض الباري على صحيح البخاري، أمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
المحكم والمتشابه، أفنان زين متعب المطيري، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد٢، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٢٠م.

المحكم والمتشابه، البيان، العدد٣٩٤، الناشر: المنتدى الإسلامي، ٢٠٢٠م.
المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
مشكل القرآن بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم أسبابه، وأنواعه، وطرق دفعه، عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، (٨٠٨/٢).
معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ليسانس ودبلوم صحافة، رئيس مصلحة الصحافة والنشر (سابقا) في الجزائر قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ.
المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمظْهِري (المتوفى: ٧٢٧هـ)، تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.
مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر.
ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ت: ٧٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، المقريزي، ت: ٨٤٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.
نزهة الأبصار في فضائل الأنصار، القاضي أبو بكر عتيق بن الفراء الغساني الأندلسي (٦٩٨هـ) المحقق: عبد الرزاق بن محمد مرزوق، أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ.
النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، ت: علي محمد الضباع (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري وآخرون، دار القيم، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، ت: ١٠٣٦هـ، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس- ليبيا، الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م.

الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، ت:٨١٠هـ، المحقق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣هـ.